واقع الفكر العربي قبل النهضة العربية الحديثة

كان المسلمون يتطلعون الى الخلافة على انها رمز للممالك الاسلامية جميعها، يجب ان يظل قائما، وكانوا ينظرون الى الخليفة نظرة اجلال واحترام وعلى هذا كان نفوذه الديني بعيد الاثر في نفوس المسلمين جميعا، وعلى الرغم من ان الخلافة العباسية كانت قد فقدت جانبا كبيرا من قوتها المادية، الا انها كانت لا تزال تدخر قدرا كبيرا من سلطانها الادبي والروحي، فلما سقطت بغداد وقتل الخليفة، قُضي على هذا النفوذ وزال ما كان لتلك العاصمة من مكانة دينية ممتازة.

كانت بغداد قبل حملة المغول مركزا للنشاط السياسي في جميع انحاء العالم الاسلامي، يؤمها وفود الحكام والامراء المسلمين وكانت الروابط تربط بينها وبين مختلف العواصم، فلما سقطت في ايدي المغول صارت بغداد مدينة ثانوية يعين عليها وال. وانتقل النشاط كله الى مدن ما وراء النهر، اذ انها اخذت تلعب دور العواصم الكبرى، ففقدت بغداد بذلك اهميتها السياسية - - - لكن بغداد اخذت تستعيد ماضيها رويدا رويدا بنظافتها ونظامها وترتيبها، لكنها بقيت مدينة اقليمية بعد ان تقلص حجمها الى عشر حجمها السابق، وظلت هكذا لاربعين سنة اخرى.

فقد آلت السيطرة على بغداد بعد رحيل هولاكو الى ابنائه الذين صاروا يستقلون تدريجيا واسسوا لانفسهم دولة في ايران عرفت باسم الدولة الايلخانية.

كانت بغداد مركزا هاما للعلوم والاداب والفنون، يهرع اليه العلماء وطلاب العلم للتزود بالثقافة الاسلامية التي كانت تتمثل فيها باجلى معانيها، أجل ! - - كانت تلك المدينة غنية بعلمائها وادبائها وفلاسفتها وشعرائها وكان كل هؤلاء بمثابة اساتذة وقادة لرجال العلم والادب في مختلف انحاء الشرق الاسلامي، ولما حلت النكبة ببغداد على ايدي المغول، قتل آلاف من العلماء والشعراء وشرد من شرد، فلجأوا الى مصر والشام وغيرهما من البقاع، واحرقت المكتبات وخربت المدارس والمعاهد وقضي على الاثار الاسلامية التي تعب الفنانون في ابداعها كل هذا التراث المجيد قد اصبح في التراب اثرا بعد عين. - - -

ان سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م، الذي اعقب سقوط نيسابور وبخارى والري (طهران الحالية) وغيرها من مدن العلم والادب كان حقا جناية كبرى في حق الحضارة الانسانية، اذ فقدت اللغة العربية تلك المكانة المرموقة التي كانت عليها قبل الغزو المغولي. كانت عواقبها، ان تفوقت اللغة الفارسية على اللغة العربية، ورغم ان اهتمام الادباء والكتاب الايرانيين باللغة العربية كان بالغا الا ان اهتمامهم بلغتهم كانت اقوى واشد.

تأثر المسلمون اشد التأثر لسقوط بغداد. وخلو الارض من وجود خليفة يكون في المقام الروحي المطلوب، فقد شعر المسلمون بان تدمير العاصمة بغداد جعل زعامة المسلمين شاغرة، يتطلع لاحتلالها كل زعيم طموح من المسلمين. فلما تولى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عرش مصر بحث عن احد افراد الاسرة العباسية، وعندما وجده نصبه خليفة، كان ذلك عام ١٢٦٠ وهكذا استعيدت الخلافة الاسلامية في القاهرة بعد غياب سنتين. وكان هدف السلطان ان يكسب الصفة الشرعية بفضل التقليد الذي حصل عليه من الخليفة. وقد استمر وضع الخلافة هذا قائما في مصر الى ان استولى عليها السلطان العثماني سليم الاول عام ١٥١٧ وبذلك انتقلت الخلافة الى الاستانة (اسطنبول) حاضرة العثمانيين.

لقد اثار حادث سقوط بغداد الحزن العميق والجزع الشديد في جميع انحاء البلاد الاسلامية والتي احست بالخطر الداهم، خصوصا بعد ان توقف قلبها وانتزعت منها كعبتها وانفرد عقد الوحدة الاسلامية المقدس، وقد بدأ المسلمون يتسائلون ماذا عسى ان يكون الوضع بعد بغداد ؟ ان الاعداء لا زالوا واقفين كالمرصاد يعتدون على الاوطان ويخربون الديار. فاذا كانوا بالامس قد اسقطوا بغداد فانهم اليوم يهددون دمشق والقاهرة.